

هل ثمة ما يعيق المرأة العربية في فن التلحين؟

الملحنات العربيات من الجدات إلى الحفيدات فنانات في الخفاء



الملحنات موجودات لكنهن في الخفاء

أبدعته 300 لحن، وغنى لها من المطربين الكويتيين غريد الشاطي، راشد سلطان، مبارك المعنوق، حسين جاسم، ناصر المشعل، عبداللطيف المنصور، ومن الإمارات عبدالله بالخير وجابر جاسم، ومجموعة من المطربين العرب مثل محرم فؤاد، عابدة الشاعر، هاني شاكر، نجاح سلام، لمعة توفيق وسماهر اللبنانية. أيضا الملحنة العراقية سحر طه (1957 - 1918)، التي كانت تقسم مع زوجها في بيروت، وهناك درست الغناء وعزف العود في الكونسرفتوار، وحصلت على شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة، واشتهرت بتلحين القصائد الصوفية لابن عربي، ابن الفارض، الجنيدي البغدادي، رابعة العدوية وغيرهم.

وتجد أيضا الفلسطينية ريم بنا (1966 - 2018)، التي جاءت أغانيها الأرض، ويتميز أسلوبها الموسيقي بدمج التهاليل الفلسطينية التراثية بالموسيقى العصرية.

صعوبة مهنة التلحين على المرأة تعود إلى ما يتطلبه دور الملحن من قيادة عدة رجال ومن تضحيات

ومن أبرز الملحنات المعرفات الآن: اللبنانية جاهدة وهبة، رشيدة الحارس، يمنى سبابا، ربا وهاب، نادين الباروكي، عبير نعمة، رشيدة الحارث، بشرى التزك، دوللي شاهين، وأمانى النوري، والفلسطينيات ريم تزي، أمل كعوش، كاميليا جبران، ناي البرغوثي ونيلة معن، والسوريات إلهام أبو السعود وليال وطفة ورشا رزق، والمغربيات سلوى الشوري ونيلمة معان، والعراقيتان المغربتان إنعام والي وسفانة جاسم، والبنينية جميلة سعد وشرق، والإماراتية إيمان الهاشمي، والسعودية حنين علي غسال، والمصرية أميرة عامر، والقطرية دانة الفردان.

وقد تكون هؤلاء الملحنات غيضا من فيض، ما يستدعي إعادة النظر في السؤال الذي طرحته في بداية المقال عن ظاهرة قلة عدد النساء في مجال التلحين، إذ ربما يناقسن عدد الرجال من دون أن تشعر بذلك.

كتابا احتوى على اثني عشر ألف لحن، والمغنية والشاعرة وعازفة العود البارعة عربي، التي كانت على قدر كبير من إتقان صنعها، كما يقول الأصفهاني، تصوغ الغناء وتبدع فيه مذ كانت بنت أربع عشرة سنة. ويعد أن اكتسبت الخبرة لحنًا عدا وافرًا من الأغاني التي جاءت جميعها في غاية الإبداع والرقى.

ملحنات حفيدات

اشتهرت في عصرنا الحديث ملحنات في معظم البلدان العربية، منهن، تمثيلا لا حصرًا، اللبنانية لور دكاش (1917 - 2005)، التي تُعد أول فنانة عربية تحترف التلحين، بعد أن بدأت في سن السابعة تتعلم عبر والدها جورج دكاش أصول الغناء والعزف، ثم انتقلت لاحقا إلى القاهرة للعمل في الإذاعة المصرية، وأنجزت طوال مسيرتها الفنية ما يقرب من 40 لحنًا، ولقيها الموسيقار محمد عبدالوهاب بملكة التواشيح.

وتذكر الفنانة المصرية نادرة أمين (1906 - 1990) التي تُعد من أبرز رواد المدرسة الموسيقية التقليدية، وقد بدأت تلحن لنفسها قصائد كبار شعراء زمانها مثل العلاء، وجبران خليل جبران، ودافعت عن موهبتها باستماتة إلى درجة أنها انفصلت عن زوجها بسبب حبها للموسيقى.

كذلك نذكر الفنانة بهيجة حافظ (1908 - 1980)، أول مؤلفة مصرية موسيقية تخوض مجال الموسيقى التصويرية، وشخصية الفنانة المثقفة، مبتكرة الألبان ومبدعة الشعر، وبين الشخصية الملتزمة، وبالرغم من أن أخاها إبراهيم بن المهدي كان صاحب مدرسة تجديدية ومكانة مهمة في الموسيقى، فإن المؤرخين يقدمونها عليه لأن شهرته راجعة إلى علاقاته العامة، بينما هي لم تكن تغني إلا إذا طلب منها الخليفة، واكتفت بتعليم الجواري.

وكان إبراهيم الموصلي، أشهر المغنين في العصر العباسي، يرسل جواريه إليها كي يتعلمن بعضا من إبداعها الغزيرة التي لم تهتم بتسويقها وإعلانها. وحسبها أن فيها ظل يُقدّر بعد وفاتها، ولأصالتها وتميزه انتقله بعضهم مثل أخيها إبراهيم، والمغني والشاعر إسحاق الموصلي، المعروف بابن النديم الموصلي.

ومن اللواتي اشتهرن أيضا في ذلك العصر منم الهاشمية، نجمة التلحين والشعر والغناء، التي بلغ إعجاب إسحاق الموصلي بها أن كان يحال عليها لتكر الحانها حتى يحفظها ويأخذها، والمغنية والملحنة الموسوعية بذل، التي كانت ذات ذاكرة عجيبة تحفظ آلاف الألحان، وألفت

الماضي، ثم أخرى بالفترات والصور اللاحقة وصولًا إلى اليوم. وربما إذا ما بحثنا وجدنا نساء عربيات وضعن الحانًا موسيقية، لكن أغلب الفن أنهن عملن في نطاق محدود جدا، وليس في أعمال تجارية، أو على نحو مشارك في مهنة سادها الرجال دائما.

ويرجع موسيقى أسباب قلة الملحنات في الساحة الفنية إلى تركيز مدارس التعليم الموسيقي على الرجال أكثر، موضحا أن المرأة، بالرغم من اقتحامها كل المجالات حتى العزف على الآلات الموسيقية، لا تزال غائبة عن مجال التلحين، الذي يُعد عملية صياغة وجرقة تعتمد على وجود موهبة فطرية بالأساس. ويجد الموسيقي أن اقتصر عملية التلحين على الرجال لا يزال حالة غريبة عجز عن تفسيرها المتخصصون في الموسيقى.

ملحنات من الماضي

بلغت النهضة الموسيقية العربية ذروتها في العصر العباسي، وعكس الغناء نوعا من الرقي الطبقي، وثرأ الحياة الفنية والرفاهية التي كانت تتمتع بها نخبة من المجتمع في بغداد والمدن الكبرى.

وعرف ذلك العصر العديد من مبتكرات الألحان، يذكر المؤرخون منهن في عصر هارون الرشيد أخته عليّة بنت المهدي بوصفها أول امرأة حرة ملحنة وعازفة ومؤلفة ومغنية، جمعت بين شخصية الفنانة المثقفة، مبتكرة الألبان ومبدعة الشعر، وبين الشخصية الملتزمة، وبالرغم من أن أخاها إبراهيم بن المهدي كان صاحب مدرسة تجديدية ومكانة مهمة في الموسيقى، فإن المؤرخين يقدمونها عليه لأن شهرته راجعة إلى علاقاته العامة، بينما هي لم تكن تغني إلا إذا طلب منها الخليفة، واكتفت بتعليم الجواري.

وكان إبراهيم الموصلي، أشهر المغنين في العصر العباسي، يرسل جواريه إليها كي يتعلمن بعضا من إبداعها الغزيرة التي لم تهتم بتسويقها وإعلانها. وحسبها أن فيها ظل يُقدّر بعد وفاتها، ولأصالتها وتميزه انتقله بعضهم مثل أخيها إبراهيم، والمغني والشاعر إسحاق الموصلي، المعروف بابن النديم الموصلي.

ومن اللواتي اشتهرن أيضا في ذلك العصر منم الهاشمية، نجمة التلحين والشعر والغناء، التي بلغ إعجاب إسحاق الموصلي بها أن كان يحال عليها لتكر الحانها حتى يحفظها ويأخذها، والمغنية والملحنة الموسوعية بذل، التي كانت ذات ذاكرة عجيبة تحفظ آلاف الألحان، وألفت

تحفل الموسيقى العربية بتاريخ طويل من منجز إبداعي إنساني فريد، تضافرت فيه جهود الشعراء والمغنين والموسيقيين من الرجال والنساء، في خط مسار وبصمة عالية للموسيقى العربية، لكن ربما يلاحظ الكثيرون قلة عدد الملحنات وهي ظاهرة غريبة نوعا ما في فن عربي عريق.

عواد علي
كاتب عراقي

كثيرا ما يتجدد السؤال عن ظاهرة قلة عدد النساء في مجال التلحين، ليس في عالمنا العربي فحسب بل في جميع أنحاء العالم، مقارنة بعددهن في مجال الغناء، وربما في العزف على الآلات الموسيقية المختلفة أيضا، وكذلك في الفنون الأخرى حيث يلمع نجم العشرات منهن، لكن ما يعنيني هنا المشهد الموسيقي العربي عبر العصور والأماكن.

في بحثي عن أسباب هذه الظاهرة، خرجت بحصيلة من الآراء المتقاربة لعدد من الخبراء الموسيقيين والكتاب المعنيين بالمسألة قد تكون مقنعة.

عوائق كثيرة

يرى أحد المؤرخين الموسيقيين أنه يصعب العثور على تفسير واضح يسوغ توارى دور المرأة في هذا المجال، إلا أنه يلفت إلى أن النساء اللواتي جاسرن، في الحالات النادرة، يتحدي هذه الظاهرة لم يتفرغن كاملا للتلحين، بل جاءت محاولاتهم فيه جزءا من أنشطته أخرى متعددة برعن فيها، مثل الفنانة المصرية بهيجة حافظ، والفنانة اللبنانية لور دكاش.

وربما تعود صعوبة مهنة التلحين على المرأة إلى ما يتطلبه دور الملحن من قيادة العديد من الرجال في الأداء والتوزيع، أو ما يحتاجه من جهد للشهر إلى وقت متأخر، في حين أن تحرر المرأة وخوضها مجالات العمل عامة أمر مستحدث، ولا يمنع هذا أن تكون هناك حالات كثيرة أثرت المرأة الملحنة فيها أن تخفي موهبتها لتؤثر السلامة، وترتضي بواقع احتكار الرجال لهذا المجال.

وتذهب باحثة في علوم الموسيقى الغربية والعربية إلى أن ثمة عوائق اجتماعية تحول دون دخول المرأة مجال التلحين، فهي تتساوى في القدرات الإبداعية مع الرجال، لكن التلحين يحتاج دائما إلى همزة وصل بينها وبين الجمهور كالعازف أو المغني حتى تتحول أفكارها الموسيقية من رموز مدونة في نوتة موسيقية إلى موسيقى مسموعة، ويتعارض تنفيذ ذلك مع أعبائها الاجتماعية ومسؤولياتها الأسرية.

كل ذلك يحول دون استمراريتها في تقديم فننها الذي يتطلب الوجود المستمر في الوسط الموسيقي، والتواصل الدائم مع المتلحين وغيرهم من خلال الحفلات، والسهرة لمواعيد متأخرة والاستماع لإنتاج الآخرين والقراءات العميقة، وهو أمر صعب. ومع ذلك توجد سيدات ناجحات في التلحين.

وتؤكد إحدى المغنيات والملحنات أن المشهد الموسيقي في عالمنا العربي يعكس واقع المرأة في مجتمعاتنا العربية عموما، التي ظلت طويلا تعمل على طمس دورها في أكثر من مجال، وتتنظر نظرة مقلوبة تجاه كليات التربية الموسيقية ومعاهددها، يشوبها كثير من التعسف وإطلاق أحكام مسبقة حول فرص نجاحها، فضلا عن غياب تعليم الموسيقيين في مدارسنا، وهو أمر بالضرورة يفضي إلى ندرة في ظهور ملحنين من الجنسين. لكنهما في الوقت نفسه ترصد إقدام عدد من بنات جيلها على تحدي تلك الحالة من الجمود في المشهد الموسيقي العربي، خاصة في الجانب الطربي لا التجاري.

ويعزو ناقد فني أحد أسباب غياب النساء عن التلحين إلى أن المرأة تقاس، موسيقيا، بصوتها وليس بمخزونها الإبداعي منذ زمن بعيد، فالألحان كلها للرجال، وإن لم يكن كلها فمعظمها الكاسح، ثمة مغنيات ناجحات، وهذا الأمر لم يتغير حتى الآن، ومطرده ومرشح للمزيد من التداول. ويمكن وضع قائمة طويلة بالمغنيات منذ مطلع القرن

الموسيقى العربية تبحث عن مستقبلها في مهرجانها الـ29

القاهرة - ترك مهرجان الموسيقى العربية الذي تنظمه سنويا دار الأوبرا المصرية جدران المسرح الكبير، حيث كانت تقام فعاليات الحدث الموسيقي البارز سنويا، لينفتح على ساحة أكبر استضافت افتتاح دورته الاستثنائية هذا العام.

وأقيم حفل افتتاح الدورة التاسعة والعشرين مساء الأحد على مسرح النافورة المكتشف الذي يتسع لنحو 1000 متفرج والذي صمم خصيصا بهدف مواكبة إجراءات مكافحة تفشي فيروس كورونا والحفاظ على التباعد الاجتماعي. وكرم المهرجان في الحفل 12 شخصية ملهمة بمجال الموسيقى والغناء من مبدعين ساهموا في إثراء الحياة الفنية في مصر والعالم العربي ومنهم درع المهرجان، ونذكر من بين المكرمين الشاعر بخت بيومي والمطرب ماهر العطار والموسيقار يحيى مهدي وعازف الكمان محمود عثمان وعازف الناي محمد عبد النبي.

ويتناوّل المحور الأول للمؤتمر الموسيقي لبلادنا العربي، ويتضمن موضوعين هما أساليب والبيات وأشكال جديدة للشباب المبدعين تفاعلا مع المعطيات التكنولوجية، والتواصل والشراكة مع الثقافات المختلفة دون إهدار للهوية الموسيقية العربية بعناصرها المميزة.

ويبحث المحور الثاني في الرؤى المستقبلية وحول سبل أداء وتقديم الموسيقى العربية، ويناقش موضوعي الموسيقى العربية وأساليب التقديم الإلكتروني والمسارح الافتراضية، والأدوات والوسائل والتكويرات الآلية والغنائية المواكبة لطبيعة الموسيقى العربية والأدوات الإلكترونية المناسبة لها.

ويناقش المحور الثالث الأفق المستقبلية لتعليم الموسيقى العربية، ويتمحور حول مستقبل تعليم الموسيقى العربية للهواة والمتخصصين بأسلوب النول الرقمي وأدوات التعليم عن بعد وتأثير ذلك على الجماليات المميزة لهذه الموسيقى وخصوصا في الجانب المهاري الذي يعتمد على التواصل المباشر وخاصة في مجالات الأداء الإرتجالي والمصاحبة.

أما المحور الرابع من مؤتمر هذا العام، فيبين الرؤى المستقبلية لإشكاليات تراث الموسيقى العربي، ويتناول موضوعات الاستفادة من معطيات التكنولوجيا وما تقدمه من أدوات تعين على جمع التراث وإنشاء قواعد البيانات الأرشيفية والافتراضية للموسيقى العربية بنسختين عناصرها وأنواعها وإتاحتها إلكترونيا وفق تطبيقات لجذب المستخدم العربي.

ويبرز الباحثون في هذا المحور أهمية تعديل وتفعيل قوانين الملكية الفكرية وفق قواعد جديدة عادلة بما يتيح موارد مادية تعين على تطوير وتحديث واستمرار الدور الإيجابي للمؤسسات المنوطة بقضية التراث الموسيقي العربي.

ويقام على هامش المهرجان معرض للخط العربي للفنان مصطفى عمري بدار الأوبرا المصرية.

كما كرم ثلاثة من كبار الملحنين هم جمال سلامة ومحمد سلطان وحلمي بكر مهديا لهم أغنية جديدة بعنوان "تحيا الموسيقى"، اشتركت في تقديمها نادية مصطفي وأحمد إبراهيم وأحمد عفت وآيات فاروق وياسر سليمان وإيمان عبد الغني وسوما ومي حسن، تلتها باقة من أعمال كل ملحن على حدة عزفتها الأوركسترا بقيادة المايسترو سليم سحاب.

وقالت وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم في حفل الافتتاح "على مدار 28 عاما ظل مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية العرس الفني، إحدى مفردات منظومة الدفاع عن الهوية وصون التراث الفني، والتي تقدرت به الأمة، ونموذجاً لقوة مصر الناعمة، حيث لعب المهرجان دورا بارزا في إعادة أعمال موسيقية وغنائية إلى دائرة الضوء".

وأضافت "تطلق اليوم الدورة 29 في ظروف استثنائية انعكست آثارها على الممارسات الحياتية في أرجاء الوطن، تأكيداً على مدى إصرارنا على المواجهة وتجاوز تلك التحديات والظروف، ولكي نبرز من خلال فعاليتها صورة حضارية تعبر عن أصالة مصر وشعبها".

ووجهت وزيرة الثقافة التحية إلى الراحلة رتيبة الحفني مؤسسة المهرجان، كما توجهت بالتحية إلى كل الفنانين المشاركين في دورته الاستثنائية هذا العام، مختمة كلمتها بـ"تحيا مصر".

ومن جانبه أكد مجدي صابر، رئيس دار الأوبرا، على أهمية مهرجان الموسيقى العربية، لافتا إلى أنه يعد من زمن الفن الجميل، موضحا أن هذه الدورة تعتبر الأضخم في تاريخ المهرجان نظرا إلى انتشار فيروس كورونا، موجهة الشكر لوزارة الثقافة على تنظيم المهرجان رغم الظروف الصعبة.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى العاشر من نوفمبر 29 حفلا غنائيا وموسيقيا بمشاركة 93 فنانا من خمس دول عربية، وتقام العروض على مسرح الجمهورية ومسرح معهد الموسيقى العربية بالقاهرة وأوبرا الإسكندرية وأوبرا دنهوفر.



دورة استثنائية من المهرجان